العنف والسلطة في فكر ميشيل فوكو وأنّا أرندت

الأستاذ الدكتور مراد بن سعيد

قسم العلوم السياسية

جامعة باتنة 1 (الجزائر)

mourad.bensaid@univ-batna.dz

ملخص:

يسعى هذا البحث لتحليل العلاقة بين نموذجي الشمولية الذي وضعته أنّا أرندت والبيولوجيا السياسية الذي طوّره ميشيل فوكو، وإيجاد النقاط المشتركة بينهما تأكيدا لأطروحة الاستمرارية الخطية والفكرية والمفاهيمية لهذين النموذجين، من جهة، وتحليل علاقة النموذجين بالديمقراطية من جهة أخرى، تأكيدا لأطروحة التضامن الغائي بين المفاهيم الثلاثة. يسعى البحث إلى تجاوز الصورة النمطية التي أعطيت للعلاقة بين الشمولية والديمقراطية من خلال وضعهما في شكل متقابلات متعارضة. يسمح نموذج البيولوجيا السياسية بإعادة النظر في العلاقة بين الشمولية والديمقراطية الغربية ويضعهما في مرتبة التضامن التاريخي، بسبب اعتمادهما على نفس التقنيات والمنطوقات. وللوصول إلى هدف الدراسة سوف يتم النظر الإسهامات الأولى في نشوء نموذج البيولوجيا السياسية على يد ميشيل فوكو، ثم المراجعات النظرية لهذا المفهوم خاصة من طرف أنطونيو نيغري وجيورجيو أغامبين، ثم ننتقل لتحليل العلاقة بين البيولوجيا السياسية والشمولية من خلال تحليل أفكار أنّا أرندت ومقارنتها بأفكار ميشيل فوكو، بالإضافة إلى النظر للإسهامات التي أتى بها أغامبين من خلال نموذج "المعسكر"، الذي يؤرخ للعلاقة التضامنية والتاريخية بين الشمولية والديمقراطية الغربية.

Abstract :

The aims of this research is to analyze firstly the relationship between the totalitarianism paradigm of Hannah Arendt and biopolitical paradigm of Michel Foucault, and find the common points between the two concepts in order to confirm the linear, intellectual and conceptual continuity thesis of both paradigms. Secondely, we analyse the relationship between the two paradigms and liberal democracy in the age of modernity, in order to confirm the teleogical solidarity thesis between the three concepts. We must overlap the given stereotype than take the negative relationship between totalitarianism and democracy. However, the biopolitical paradigm can help to reformulate the relationship between totalitarianism and Western democracy, and confirm the historical solidarity between them, because the employment of both paradigms the same techniques and disciplines. To reach the goal of the study, we will first discuss the relevance of Michel Foucault constribution in the emerging of biopolitical paradigm, and secondely we present the redefinition tentatives of theis paradidm by Antonio Negri and Giorgio Agamben. Thirdely, we analyze the relationship between biopolitics and totalitarianism by comparing Arendt and Foucault ideas, in addition to the contributions Agamben and its "camp" paradigm, which confirm the historical solidarity relationship between totalitarianism and Western democracy.

مقدمة:

إذا أخذنا في الاعتبار تقلبات الفلسفة السياسية المعاصرة من ناحية نجاح الكتّاب، يظهر معطى واحد واضح وهو تحول الاهتمام مؤخرا من الفلسفة السياسية لأنّا أرندت نحو فلسفة ميشيل فوكو. وإذا كان من الممكن ترجمة هذا التحول في منظور الفئات المفاهيمية، يمكن التأكيد على التحول من نموذج "الشمولية" في إطار كتاب أرندت لعام 1951، نحو نموذج "البيولوجيا السياسية" المطوّر من طرف فوكو في منتصف سبعينيات القرن الماضي. ولكن العنصر المهم في هذا التحول هو الوضع الخطي والمستمر الذي ميّز حركة هذه الأفكار[1]. لا يظهر نموذجي الشمولية والبيولوجيا السياسية كلغتين مفاهيميتين غير متجانستين، بل يظهران في وضع تركيبي تطابقي من خلال نوع من التواصل التأويلي يجعل من النموذج الثاني كاستمرار أو تكملة للنموذج الأول. إن مقاربة البيولوجيا السياسية، وزيادة على كونه أداة تحليلية بديلة لمقاربة الشمولية، فهو يمثل واحدة من تسلسلاتها التراثية والتاريخية، فهي تدمجها وتؤكدها بطريقة أو بأخرى. وهناك العديد من الدراسات المهمة التي تستخدم المصطلحين في تناغم تام يجعل منهما مرادفين لمعنى واحد، سواء في اتجاه شمولية بيوسياسية، أو في اتجاه بيولوجيا سياسية شمولية.

إن الاختلاف المفرداتي بين نموذج البيولوجيا السياسية ونموذج الشمولية دفع العديد من الباحثين لتقاطع منظوراتي بحثا عن بيولوجيا سياسية لدى أرندت وشمولية عند فوكو. في مجال أصل مفهوم البيولوجيا السياسية ظرف موضوعي مزدوج، حيث أن فوكو استخدم مصطلح الشمولية للتعبير على طبيعة البيولوجيا السياسية الواضحة للنازية. إن توصيف النازية بالبيولوجيا السياسية هو الأمر الذي جعل من السهل تقريبها إلى مفهوم الشيوعية، وبالتالي تقريب المعنى إلى مفهوم الشمولية. لقد اقترب Giorgio Agamben من المجال المفهومي الذي يمنع الاتصال بين البيولوجيا السياسية والشمولية، وتساءل لماذا أرندت وفوكو لم يجدا نقطة اتصال في خطاباتهما، وبشكل أكثر تحديدا، لماذا لم تستخدم أرندت أدبيات البيولوجيا السياسية في أبحاثها حول الشمولية؟ ولماذا لم يحدد فوكو معسكر الاعتقال الشمولي في وسط المنطوق البيوسياسي الخاص به؟

لقد عملت البيولوجيا السياسية على تعرية الخروقات والتجاوزات الغربية من خلال إبرازها للمساعي الحثيثة للرأسمالية والديمقراطية للسيطرة على الأجساد

---

[1] *Esposito Roberto, Totalitarisme ou biopolitique, Tumultes, n°26, 2006, p 9.*

والتحكم في الحياة والموت، من خلال تكنولوجيات بيولوجية كما تحدث عنها فوكو، أغامبين، نيغري وآخرون، تسعى إلى فعل منح الحياة بدل فعل الموت. لقد عملت البيولوجيا السياسية الغربية نفس عمل الشمولية، وتحكمت في حياة الإنسان وفي جسده. إن الديمقراطية الغربية المزعومة ما هي إلا نتاج لعمليات سيطرة وتحكم. ومن هنا ينشغل البحث بالمسعى الجوهري الذي يمكن أن يؤرخ للعلاقة بين البيولوجيا السياسية، الشمولية والديمقراطية، ومنه يمكن طرح التساؤل التالي: إذا كان نموذج البيولوجيا السياسية يعيد الاعتبار للعلاقة بين الشمولية والديمقراطية، فإلى أي مدى يمكن الاستفادة من هذا النموذج من أجل بلورة بديل ديمقراطي عن الديمقراطية الليبرالية؟

من خلال دراسة إسهامات أغامبين، وتحليل الكيفية التي أراد من خلالها تطوير الآثار المترتبة عن مفهوم البيولوجيا السياسية، ومقارنة هذه التحليلات بمنظور أرندت حول الشمولية، يظهر أن الغرض من هذا البحث ليس فقط إجراء مقارنة بين نموذجي الشمولية والبيولوجيا السياسية وعلاقتهما بالديمقراطية، وإنما إظهار أهمية مفهوم البيولوجيا السياسية كأداة فعّالة لتحليل جوانب معينة من الاتجاهات البيولوجية التي تنتهجها الشمولية. وهنا تجدر الإشارة إلى اتجاهات فكرية ترى في البيولوجيا السياسية كانعكاس لدولة القانون الديمقراطية، على أساس ما حصل من انتقال من الديمقراطية إلى الشمولية، كما حصل في معسكرات الاعتقال النازية، والتي نظر إليها أغامبين باعتبارها عملية انعكاس الأولى (الديمقراطية) في الثانية (الشمولية)، أو انعكاس لسياسية الحياة التي تنظر إلى السكان كمجموعات حية - سواء في الدول الشمولية أو الدول الديمقراطية- في تنظيم الموت في المعسكرات. إن هذه العلاقة الانعكاسية للديمقراطية والشمولية وفق نموذج المعسكر هي التي تمثل نواة الحداثة الغربية والمصفوفة المخفية للمجال السياسي الذي نعيش فيه.

أولا - إسهامات ميشيل فوكو في بلورة مفهوم البيولوجيا السياسية:

لقد ظهر مفهوم "البيولوجيا السياسية" في بعض نصوص فوكو حول تاريخ الطب الحديث، وهو يهدف إلى تجديد صياغة المشكلات المعرفية والسياسية، وذلك لأن الطب يلعب دورا متزايد الأهمية في المعرفة، إدارة السكان والسيطرة عليهم، ولذلك ينبغي اعتبارها عنصرا أساسيا لأشكال السلطة الحديثة. وقد تم عرض مفهوم البيولوجيا السياسية في الفصل الأخير من كتاب "تاريخ الجنسانية"، الجزء الأول، تحت عنوان: "حق

الموت والسلطة على الحياة"[1]، وطوّر أيضا في بعض المحاضرات التي قدمها فوكو في الكوليج دو فرانس بين عامي 1975 و 1980. ويندرج هذا العمل في إطار تحليل مفهوم "الحوكمية" (Gouvernementalité)، الذي يهدف إلى تجاوز المقاربة المرتكزة حصريا على الدولة وشرعيتها القانونية كسلطة سيادية. في هذا المنظور، فإن مفهوم السكان يعرّف بأنه حقيقة إحصائية تحدد اقتصادا جديدا للسلطة، وشكلا جديدا لحكومة الأفراد ظهرت منذ القرن السادس عشر في التقليد السياسي الغربي. ومن خلال طرح مفهوم البيولوجيا السياسية، فإن فوكو يبحث عن الإشارة إلى نشوء موضوع لا يُضاف ببساطة وبحرفية إلى الانشغالات المألوفة للسلطة السياسية، ولكنه يقوم على تعديل شكله بشكل كامل. وتظهر البيولوجيا السياسية كنظام جديد للسلطة أين ممارسة القانون السيادي (الذي يميّزه فوكو على أنه سلطة الموت) تميل لتفسح المجال لمعايير تنظيمية، تلعب فيها المؤسسات الطبية دورا حاسما مرتبطا بمعايير أخلاقية، قانونية، إدارية ودينية أخرى (وهو ما يميّزه فوكو على أنه سلطة الحياة).

حتى وقت قريب، كان مفهوم البيولوجيا السياسية كما وضعه فوكو غير معروف باستثناء مجموعة محدودة من الخبراء والعلماء. وكما يفهمه فوكو، فإن مفهوم البيولوجيا السياسية يحدد ما يمكن أن تقدمه الحياة والآليات الخاصة بها في عالم الحسابات الصريحة، وجعل المعرفة-السلطة عاملا أساسيا في تحولات الحياة الإنسانية[2]. ويميّز فوكو تاريخيا وتحليليا بين بعدين أساسيين لهذا الفهم الذي يمكن التعبير عنه من خلال سلطة الحياة وتأديب الأجساد الفردية، من جهة، والتنظيم الاجتماعي لجسد السكان، من جهة أخرى. وتمثل البيولوجيا السياسية وفقا لفوكو الحجر الأساس للحداثة الغربية، على أساس أنها تضع الحياة في قلب النظام السياسي. وفي إطار هذا المنظور، هناك صلة وثيقة بين تأسيس المجتمع الرأسمالي وولادة البيولوجيا السياسية، حيث أن سيطرة المجتمع على الأفراد لم تكن فقط من خلال الوعي أو الأيديولوجيا، وإنما في الجسد ومع الجسد، حيث كانت البيولوجيا السياسية بالنسبة للمجتمع الرأسمالي أكثر شيء يمكن الاهتمام به[3]. علاوة على ذلك، فإن تحليل فوكو لمفهوم البيولوجيا السياسية يشير إلى نقد نظري لنموذج الخطاب القانوني للسلطة[4].

---

[1] *Michel Foucault, The History of Sexuality: Volume I, The Will to Knowledge, trans. Robert Hurley. New York: Random House, Inc., 1978.*
[2] *Ibid., p 143.*
[3] *Michel Foucault, La naissance de la médecine sociale, in Dits et écrits, Paris, Gallimard, 2001, p 210.*
[4] *Michel Foucault, The History of Sexuality, op.cit, p 82.*

لقد تمت صياغة مفهوم البيولوجيا السياسية من قبل فوكو لتوضيح ظهور شكل جديد للسيطرة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية على الجسد ابتداء من القرن الثامن عشر. وهنا يؤكد فوكو على تحول في ممارسة السلطة انتقل خلال العصر الكلاسيكي من نشاط الغزو وامتلاك الحياة نحو تكنولوجيا سياسية تهدف لتعزيز تطوير الحياة ونموها ومردوديتها[1]. إن هذا الاهتمام بالحياة سوف يؤدي حسبه إلى تطوير نظام سيطرة مزدوج: من جهة، تطوير انضباط يمارس على جسم الإنسان مثل زيادة قدراته، التحكم في قواه وزيادة طاعته. ومن جهة ثانية، تأسيس "بيولوجيا سياسية للسكان" مرتكزة على الجسم كنوع، وتسعى لتنظيم العمليات البيولوجية التي تؤثر على السكان مثل المواليد والوفيات، مستوى الصحة، فترة الحياة. إن وضع هذه البيولوجيا السياسية أدى إلى ولادة مجموعة من المعارف والممارسات (الديموغرافيا، الصحة، التخطيط الحضري، والصحة العامة...)، التي ستكون لها مهمة رعاية الأجساد، ليس فقط لحمايتها من الأعداء، وليس فقط لضمان العقاب أو انتزاع الرسوم والضرائب، ولكن لمساعدة هذه الأجساد على ضمان صحتها[2]. ووفقا لهذا النموذج، تمارس السلطة على شكل منع وقمع في إطار القانون والمشروعية بما يتناسب في نهاية المطاف مع مشكلة السيادة.

ووفقا لفوكو فإن تأسيس البيولوجيا السياسية كان خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، على أساس أنها تمثل سلطة تميل إلى إنتاج القوى وجعلها تنمو، والاهتمام بالتحكم فيها، بدلا من إعاقتها وإخضاعها أو تدميرها كما حدث مع نموذج السيادة[3]. لقد أعطى النموذج القديم للسيادة الملك "الحق في منح الحياة والترك للعيش"، في حين، وفي حالة النموذج الجديد للبيولوجيا السياسية، فإنه عند وجود السيادة فهناك سلطة على منح الحياة والترك للموت[4]. من خلال هذا التحول، يسعى فوكو إلى تسليط الضوء على حقيقة أن ممارسة السلطة لم تعد عبارة عن عملية قيادة للموضوعات عن طريق التهديد بالقتل من أجل الحفاظ على السيادة، وإنما أصبحت السلطة تمارس من أجل الحفاظ على الحياة، وذلك لسبب مختلف يتمثل في إدارة الحياة وتحسينها، وإخضاعها لرقابة دقيقة وضوابط شاملة[5].

---

(1) *Michel Foucault, Histoire de la sexualité, Tome I, La volonté de savoir, Paris, Gallimard, 1976, pp 185-186.*
(2) *Michel Foucault, La politique de santé au XVIIIe siècle, Dits et écrits, Paris, Gallimard, 1994, p 16.*
(3) *Michel Foucault, The History of Sexuality, op.cit, p 136.*
(4) *Michel Foucault, Society Must Be Defended: Lectures at the Collège de France 1975-1976, ed. Arnold I. Davidson, trans. David Macey. New York: Picador, 2003, p 241.*
(5) *Michel Foucault, The History of Sexuality, op.cit, p 137.*

إن ضرورة هذا التحول من النموذج القديم للسيادة إلى النموذج الحديث للبيولوجيا السياسية تكمن في الظروف المتغيّرة للعالم الحديث، خاصة الوعي المتزايد إلى الحاجة لشريحة سكانية صحية ومنتجة، حيث أن الهدف من السياسة التشريحية (Anatomo-politique) لآلية السلطة التأديبية، كما يصفه فوكو في كتاب "المراقبة والعقاب"، هو التركيز على تكييف الأفراد في شكل عمّال منضبطين، وهنا تقوم السلطة البيولوجية بخلق هذه القوى العاملة التي تمثل كتلة تتأثر بخصائص عمليات الولادة، الموت، الإنتاج، المرض...، والعمل على واستدامتها، وتقوم السلطة البيولوجية على تشكيل ذواتها من خلال مجموعة من العمليات مثل نسبة المواليد إلى الوفيات، معدل الإنجاب والخصوبة لدى السكان...[1]. ويمكن تحقيق هذه الأهداف من خلال برامج الرعاية الاجتماعية التي ترعاها الدولة والتركيز على المنظمات الخيرية، ومن خلال أيضا ابتكار خطابات تأديبية على مجموعة واسعة من الذوات، خاصة خطاب الجنسانية، الذي يعتبره فوكو أحسن مثال في هذا المجال.

ومن خلال تأديب الجنسانية وفق مفهوم السياسة التشريحية لتأديب الأفراد نحو وجهات محددة للنشاط الجنسي والتعبير الجنسي، يمكن تنظيم الجنسانية والسيطرة عليها وتطبيعها، وهو ما فصّله فوكو جيّدا في كتاب "تاريخ الجنسانية: الجزء الأول: إرادة المعرفة". وتكون هذه العملية من خلال تأديب الناس نحو مفاهيم لممارسات جنسية سليمة، مراقبة الإنجاب، جنسانية الأطفال...الخ، كما يُفهم من خلال التخصصات الأكاديمية في هذا المجال، بالإضافة إلى التوقعات والإحصاءات والتدابير المختلفة، فإن البيولوجيا السياسية قادرة على إنتاج سكان وفق الحجم والنوع المطلوبين واللازمين لإقحام الأجساد في آلية الإنتاج، بطريقة تضمن الحفاظ على علاقات الإنتاج التي تحتاجها الرأسمالية[2]. وعليه، فإن عنصرية الدولة التي تنشأ من هذه الحاجة لحماية الحياة هي نتيجة حتمية، وهو ما يضع البيولوجيا السياسية في أي مجتمع كقوة دافعة وراء السيادة.

ثانيا - المراجعات النظرية لمفهوم البيولوجيا السياسية:

تتلخص معظم المراجعات النظرية لمفهوم البيولوجيا السياسية من خلال عرض الاختلاف بين البيولوجيا السياسية للتعدد (Multitude) كما وضعه Antonio Negri وزميله Michael Hardt ومفهوم السلطة البيولوجية لسلطات الدولة السيادية (Souverain State)

---

[1] *Michel Foucault, Discipline and Punish: The Birth of the Prison, translated by Alan Sheridan NY, Vintage Books, 1995, pp 242-243.*

[2] *Michel Foucault, The History of Sexuality, op.cit, p 41.*

كما وضعه ميشيل فوكو، بالإضافة إلى مفهوم المعسكر (Camp) كما وضعه Giorgio Agamben.

1- أنطونيو نيغري ومايكل هاردت: الامبراطوية والتعدد:

يختلف مفهوم الإنتاج البيولوجي للسياسة (Biopolitical Production) بصورة مباشرة عن مفهوم السلطة البيولوجية، المبنية على أساس أنها سلطة قوة سياسية ذات سيادة تتحكم مباشرة في حياة وموت السكان الخاضعين لسيطرتها، والتي تعتبر سلطة بيولوجية سلبية تسعى للإبادة الجماعية ودمار الجيوش ونشاط الشرطة، من جهة، سلطة بيولوجية إيجابية للحكام الامبرياليين تحافظ على الهرمية الاجتماعية في جميع أنحاء العالم، وتعتمد كلها على أساس مبدأ الحرب المستمرة، من جهة خرى[1]. إن كلا مفهومي الإنتاج البيولوجي للسياسة والسلطة البيولوجية الامبريالية يسعيان لضم الحياة الاجتماعية برمتها، ولكن بطرق مختلفة جذريا، حيث أن السلطة البيولوجية تمثل سلطة سيادية متعالية تقف فوق المجتمع، في حين أن الإنتاج البيولوجي للسياسة يمثل عنصرا جوهريا للوجود الاجتماعي ويقوم ببناء العلاقات الاجتماعية من خلال تعاون لامركزي[2].

لقد انتقد هاردت ونيغري مفهوم فوكو الغامض للبيولوجيا السياسية، وكما يقولان "إذا سألنا فوكو ما هو الشيء الذي يدفع النظام، أو بالأحرى، ما هي "الحياة السياسية" (bios) المخالفة "للحياة البيولوجية"(zoé)؟، فإن رده سيكون فائق الوصف، أو لا شيء على الإطلاق[3]. ونظرتهما تتلخص في كون فوكو مقيّد بابستيمولوجيا بنيوية ترى في السلطة بوصفها مجهولة الوظيفة، ويتجاهل بالتالي الجوهر الأنطولوجي للإنتاج الثقافي والاجتماعي، ولكن هذا التضارب المشترك تجاه فكرة فوكو حول كيف تعمل السلطة، ما هو إلا نقطة واحدة للتقارب في مقابل تفسيرات مختلفة كثيرة عن فوكو والبيولوجيا السياسية. على سبيل المثال، يسعى أغامبين لجعل البيولوجيا السياسية واضحة من خلال مفهوم "الإنسان المنبوذ"(Homo Sacer) و"القوة السلبية للاستثناء"، في حين يسعى هاردت ونيغري أكثر إلى أطر إنتاجية للمصطلح، وهذا يرجع إلى حد كبير إلى جذور نيغري

(1) *Michael Hardt and Antonio Negri, Multitude: War and Democracy in the Age of Empire, New York, Penguin Books, 2004, pp 18-21.*
(2) *Ibid., pp 94-95.*
(3) *Michael Hardt and Antonio Negri, Empire, Cambridge, Harvard University Press, 2000, p 28.*

الاستقلالية[1]، إلى جانب المواصفات السبينوزية (نسبة إلى سبينوزا) لأعمال نيغري كسبب أساسي لعدم توافقه مع فوكو وأغامبين حول مسألة البيولوجيا السياسية[2].

وقد استخدم هاردت ونيغري ووسّعا النطاق التاريخي والاجتماعي لمصطلح السلطة البيولوجية أكبر من تحليله من طرف فوكو. وهذا التوسع في النطاق يكون جنبا إلى جنب مع ترتيب جديد للعمل الاجتماعي. وكما اتسع أفق الأنشطة الإنتاجية في إطار هذه العملية لإعادة تركيب العمل الاجتماعي، وكما أن الحياة والإنتاج أصبحا يمثلان الشيء نفسه، فإن التركيز على السياسات البيولوجية يعمل على إعادة تعريف المفهوم الماركسي للعمل المنتج. إن أهمية أطروحة تصنيف المجتمع في إطار رأس المال لا تبدو واضحة إلا في إطار تحليل السلطة البيولوجية، حيث أن السلطة البيولوجية، أو للدقة أكثر، طابع السياسات البيولوجية للتراكم الرأسمالي يساعد على تعبئة التأثيرات التفاعلية لجميع القوى الاجتماعية والأساليب الإنسانية المنتجة[3].

يتحدد مفهوم نيغري للبيولوجيا السياسية في كونها تعبّر عن سلطة إنتاج مجمل الحياة الاجتماعية في كل لحظة من الحاضر، وقد تم توضيح هذا الاستخدام للمصطلح في مقابلة أجريت معه مؤخرا، أين يفرّق بين البيولوجيا السياسية كـ:(Biopotere) والبيولوجيا السياسية كـ:(Biopotenza)[4]. فالمفهوم الأول يصفه بأنه مؤسسة السيطرة على الحياة، والسلطة التي تخلق "الحياة السياسية" (bios) المخالفة "للحياة البيولوجية"(zoé)، وهو المفهوم الذي قد يكون قريبا من مفهوم فوكو حول فنون الحكومة التي تنظّم الأجساد، والمفتاح هنا هو الدولة ورأس المال والأشكال المأسسة للبيولوجيا السياسية، والتي تمثل حدّا للحياة المنتجة. وعلى خلاف هذا المفهوم، يصف نيغري المفهوم الثاني (Biopotenza)، بأنه يعني احتماليات السلطة التأسيسية على خلق السلطة، وعليه فهو يعني القدرات المنتجة للتعدد، وعلى عكس رأس المال، فإن هذا المفهوم يمنح الحياة أو الروح للعالم الاجتماعي كما نعرفه. والسؤال المطروح هنا هو: ماذا يعني(Biopotenza) لهاردت ونيغري في مجال التحليل المكاني؟ كما هو موضح في كل من "الإمبراطورية" و"التعدد"، وبحكم إنتاجيته المستمرة، فإن التعدد يوجد في مجال غير الإقليمي. إن التعدد

---

(1) *Nicholas Thoburn, Deleuze, Marx and Politics, London, Routledge, 2003.*

(2) *Alberto Toscano, Always already only now: Negri and the biopolitical, in, T. Murphy, A. K. Mustapha (eds.), The Philosophy of Antonio Negri: Revolution in Theory, Sterling, VA, Pluto Press, 2007, pp 109-128.*

(3) *Michael Hardt and Antonio Negri, Empire, op.cit., p 24.*

(4) *Cesare Casarino and Antonio Negri, It's a powerful life: a conversation on contemporary philosophy, Cultural Critique, Vol.57, 2004, pp 151-183.*

هو القوة التي تضعف وتعمل على تذويب أي نوع من المكانية المبنية على الحدود أو على حسابات إقليمية للهوية، وهذا بدوره له انعكاسات كبيرة على كيفية رسم هاردت ونيغري للشكل العالمي للنظام الاجتماعي الرأسمالي المعاصر، أو ما يسميه بـ: (Biopotere).

لقد قام نيغري وهاردت بتحليل أطروحة فوكو حول التحول من السلطة السيادية إلى السلطة البيولوجية، وقاما بتعديلها من خلال تحريك نقطة بداية العملية، حيث أن هذا التحول حسبهما لم يكن في نهاية القرن الثامن عشر، كما كان يعتقد فوكو، ولكن في سبعينيات القرن العشرين، أي عندما تخلت الدول القومية عن معظم امتيازاتها لصالح المنظمات متعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية الكبرى. لقد قامت هذه العملية لعولمة السلطة بتحويل شكل السلطة على المستوى العالمي، وذلك لأن بنية الانضباط التي تحكمها الدولة تركت مكانها لمنظمة شبكية لامركزية، أين كل الأشخاص مرتبطين بروابط غامضة. ويصف نيغري وهاردت هذه المنظمة الشبكية بالإمبراطورية من أجل تمييزها عن الشكل الإمبريالي لسياسة الدول القومية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ولكن أيضا بربطها بالإمبراطورية الرومانية أين التركيبة السكانية المتنوعة جدا المتعايشة في فضاء مهدم أكثر فأكثر[1].

ومن خلال تحريك نقطة القطيعة، قام نيغري وهاردت بتعديل مفهوم فوكو حول السلطة البيولوجية، حيث أن ما وصفه فوكو كانضباط للأجساد الفردية في كتابه "المراقبة والعقاب"، هو في الحقيقة نظام السلطة السيادية، وعليه فإن السلطة البيولوجية هو فقط ما يسميه فوكو بالبيولوجيا السياسية للسكان. بمعنى آخر، قام فوكو بتحديد مفهوم السلطة البيولوجية في الوقت الذي نشأت فيه، وهو السبب الذي جعله يعجز عن وصف حداثة أنماط عملها، ومنه ظل محاصرا بقراءة بنيوية طبّقها في كتاب "المراقبة والعقاب". ولهذا السبب يرجع نيغري وهاردت إلى تحليلات دولوز حول "مجتمعات السيطرة"، المحكومة بتشكيلة منظّمة في شكل جذمور في إطار سلسلات متباعدة من التدفقات الزمنية[2]. وعليه فإن المذهب الحيوي لدولوز حلّ محل بنيوية فوكو، مثلما حلّت ما بعد حداثة الجذامير محل حداثة البنى، لأنها قادرة على وصف ديناميات البيولوجيا السياسية.

---

[1] *Keck Frédéric, Les usages du biopolitique, L'Homme, n° 187-188, 2008, p 301.*

[2] *Gilles Deleuze, Post-scriptum sur les sociétés de contrôle, in, Pourparlers, 1972-1990, Paris, Minuit, 1990, pp 240-247.*

2- جيورجيو أغامبين: الحياة العارية والسلطة السيادية:

من خلال أعمال أغامبين، تظهر السلطة البيولوجية كأطروحة وليس فرضية، وهي أطروحة تتعلق ببنية السلطة، أو الأصل الذي يربطها مباشرة بالحياة. إن منطق السيادة هو منطق الاستيلاء على الحياة، وهو منطق يسعى لعزل "الحياة العارية" كاستثناء. وتتعرض هذه الحياة ليس فقط إلى عنف سيادة وسلطة الموت، ولكن أيضا إلى قرار يهيئ ويحدد قيمتها، وفي هذا المجال تضع السلطة السيادية نفسها من خلال إنتاج "جسد البيولوجيا السياسية" الذي تمارس عليه سلطاتها. لقد تم تكوين أطروحة أغامبين ليس فقط في عمله التاريخي حول "الحياة العارية والسلطة السيادية"[1]، ولكن أيضا في أعمال لاحقة أخرى[2]. إن مسألة السلطة البيولوجية، رغم أنها لا تمثل الاهتمام الأول لأغامبين، إلا أنه يضعها في إطار إشكالية أخرى تحرك كل كتاباته، تتحدد في تعريف أو إعادة تعريف دائم للإنسان.

تتعلق فرضية فوكو حول البيولوجيا السياسية، والتي نظر إليها أغامبين على أساس أنها تمثل أطروحة، بعلاقة معينة بين مصطلحين أساسيين: السلطة والحياة، الأمر الذي يتطلب أن يُعاد تعريفهما. وتشكل مسألة السلطة البيولوجية، أي الاتصال بين الحياة والسلطة، جزءا من تاريخ متعدد الاتجاهات وغير موحد للتقنيات السياسية وفن الحكم، وعليه ليس من الضرورة الاهتمام بتاريخ يتقاطع مع تاريخ آخر تقدّم فيه السياسة على أساس بيولوجي[3]. بالنسبة لفوكو، فإنه يتموضع في الشكل الأول للتاريخين المذكورين، إلا أن الطابع الإشكالي لمفهوم البيولوجيا السياسية، أو حتى السلطة البيولوجية، ينتج عن محاولة أغامبين الضمنية لفهم التاريخين معا، أو تفصيل الشكل الأول بالنظر إلى الشكل الثاني.

لقد تم وضع فرضية السلطة البيولوجية، التي تعني وجود علاقة معينة بين السلطة والحياة أساس من طرف فوكو، مقترحا في ذلك مقاربة جديدة لتحديد ممارسات معينة للسلطة في حالات أين تدخل الحياة في انشغالاتها. لقد قام بدراسة تكنولوجيات السلطة ابتداء من القرن الثامن عشر، التي استغلت الحياة على وجه التحديد، أي

---

(1) *Giorgio Agamben, Homo sacer: Sovereign power and bare life, Trans. D. Heller-Roazen, Stanford, Calif, University Press Stanford, 1998.*

(2) *Giorgio Agamben, Remnants of Auschwitz: The witness and the archive. Trans. D. Heller-Roazen, Zone Books, New York, 1999; Giorgio Agamben, Means without end: Notes on politics. Trans. V. Binetti and C. Casarino, University of Minnesota Press, Minneapolis, 2000.*

(3) *Katia Genel, The Question of Biopower: Foucault and Agamben, Rethinking Marxism: A Journal of Economics, Culture & Society, Vol.18, n°1, 2006, p 44.*

الأجساد الفردية كمواضيع لسياسة تشريحية. وهنا يلاحظ فوكو أنه ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أصبحت حياة الإنسان رهانا للاستراتيجيات السياسية. وقد ظهرت في هذا السياق تقنيات للسلطة وآليات منظّمة أو تأمينية تقوم بتأطير حياة أنواع الأجساد وتراقب العمليات البيولوجية التي تؤثر على السكان. من جانبه، يؤكد أغامبين على فكرة وجود علاقة بين الحياة والسلطة. وقام بتحليل الهيكل البنية الأصلية للسلطة السيادية في إطار علاقة مباشرة بالحياة يسميها علاقة الاستثناء. وعليه فإن السيادة لا تتجسد فقط على مستوى مواضيع الحقوق، ولكن وبصورة مخبأة تتجسد أيضا على مستوى الحياة العارية التي من الأجدر أن تنسحب على مستوى أشكال الحياة التي ترتبط بها. وهنا تتعرض الحياة للعنف وقوة القتل التي تتمتع بها السلطة السيادية، وتكون محل قرار سيادي يحدد قيمتها. وتقوم الحياة، المتصلة بمنطق الاستثناء هذا، بتغذية سير عمل السلطة السيادية، التي تتأسس وتستديم من خلال إنتاج الأجساد البيولوجية السياسية التي تمارس عليها سلطتها.

في هذا السياق، فإن فرضية السلطة البيولوجية المقترحة من قبل أغامبين تقوم بتحريك مفهوم وتحدي المشكلة كما وضعها فوكو، ويضع هذا الأخير السلطة البيولوجية في السياق الخاص بتحليلاته حول السلطة، بما يدل على أن السلطة تتعدل عندما تعتبر الحياة موضوعا لها. وعليه، فإن فرضية وجود سلطة بيولوجية تتطلب بالتأكيد إعادة تعريف السلطة في حد ذاتها، وخاصة نمط اكتسابها، حيث أنها تتميز بآليات حديثة خاصة تتجاوز النظرية التقليدية للسلطة السيادية. ويقوم أغامبين بتحريك فرضية السلطة البيولوجية بالعودة إلى توسعها بالنظر إلى طبيعة السلطة السيادية، وبهذا هل من شرعية في هذه الحالة جعل من السلطة البيولوجية كبنية أصلية للسيادة، مادامت عملية تشغيل مفهوم السلطة البيولوجية في إطار داخل مفهوم السيادة؟ في هذا الإطار، لا يسعى أغامبين إلى مجرد تسليط الضوء على علاقة الحياة العارية التي تشكل بنية السلطة السيادية، ويستخدم مفهوم السلطة البيولوجية من خلال إعادة تعريفها لتوضيح تاريخ السيادة منذ نشأتها وصولا إلى الحداثة السياسية. إن السياسة الحالية وأحاجي هذا القرن مثل النازية، يجب أن توضح من خلال مفهوم البيولوجيا السياسية الذي تشكلت في إطاره[1]، وعليه، فإن السلطة البيولوجية مفهوم مهم لدى أغامبين من أجل التفكير في جل الفضاء السياسي، الذي يشتغل حسب مصفوفة المعسكر.

[1] *Giorgio Agamben, Hom Sacer, op.cit, p 202*

ثالثا – من الشمولية إلى البيولوجيا السياسية:

تمثل الشمولية وفقا لفوكو أحد النتائج المحتملة لإعادة التوجيه الحديثة للسياسة نحو أنواع الحياة، وذلك لأن الجانب الآخر للسلطة على الحياة هو السلطة التي تقوم بفعل الموت في أن واحد، وعليه فإن الشمولية هي أحد مظاهر سياسات الموت، التي تعتبر جوهرا متأصلا للبيولوجيا السياسية. وتصبح سلطة رفض الحياة وتحويلها إلى نقطة للموت مؤشرا للدرجة التي تصبح خلالها الحياة تحت الرقابة والسيطرة الإنسانية.

1- أنّا أرندت والشمولية:

إن التركيز على التماثلات بين أعمال أرندت وفوكو حول سياسات الحياة في الحداثة الغربية، يفيد في إبراز دور أعمال أرندت وأهميتها في الخطاب العام حول البيولوجيا السياسية. لقد نبّه فوكو العديد من الكتّاب إلى طريقة النظر للسياقات الدولية الأخيرة فيما يتعلق بالصراعات الدولية، وتحديدا ممارسات إدارة الولايات المتحدة منذ عام 2001 في مجال مكافحة الإرهاب. ومن خلال التحقيق في تناقضات الليبرالية في إطار منظور البيولوجيا السياسية، كان لابد إعادة تحديد منظور جديد للمؤسسات والممارسات من حيث الصلاحيات والهياكل والموضوعات التي تمارس عليها[1].

وتجيب أرندت على ظاهرة الإنتاج الممنهج للحياة العارية في الأنظمة الاستبدادية على حد تعبير أغامبين، على أنها قائمة على ظاهرة سياسات المواليد. وهي تضع هذا المفهوم، الذي يعني حقيقة أن كل حياة الإنسان تبدأ مع الولادة، بمثابة الفئة المركزية للفكر السياسي، وذلك لأن المواليد الجدد هم بمثابة القادمين الجدد والمبتدئين، ومن ثم ينخرطون في العمل وتتخذون زمام المبادرة. إن قدرة الإنسان للتصرف بحرية تتجذر وجوديا في إطار هذا العمل المتمثل في المواليد[2]. إن مفهوم المواليد هو مفهوم البيولوجيا السياسية الذي يعارض مفهوم سياسات الموت للحياة العارية، وهو عبارة عن رد على سياسات الموت الضمنية في البيولوجيا السياسية الحديثة، والموجودة في الأنظمة الشمولية في القرن العشرين. وقد أصبحت أرندت مقتنعة في خمسينيات القرن العشرين أن الشمولية تشكل شكلا جديدا، ولكنه "ضروري" للحكومات، أين إمكانيات حدوثها تتوافق مع

---

(1) *Andrés Perezalonso, The Message of Torture: Biopolitics and Bare Life in the US Discourse of the War on Terror, Global Discourse, Vol.1, n°2, 2010, pp 147-165.*

(2) *Hannah Arendt, The Human Condition, The University of Chicago Press, Chicago and London, 1958, p 177.*

بعض التجارب الأساسية للإنسان، وبالتالي هي غير قابلة للتكرار بطبيعتها، والتجارب الأساسية التي يستجيب لها الشمولية سياسيا هي تلك المتعلقة "بالوحدة"[1].

في نهاية كتابها الشهير حول "أصول الشمولية"، حذرت أنّا أرندت من أن الحلول الشمولية قد تؤدي إلى إمكانية عدم سقوط الأنظمة الشمولية، وقد عاش جورجيو أغامبين وكتب في عالم تحققت فيه نبوءة أرندت. وهنا يمكن مقارنة محاولات أرندت وأغامبين لفهم معسكرات الاعتقال والإبادة، وخصوصا أهميتها بالنسبة للطريقة التي تعمل بها الديمقراطيات الليبرالية الحديثة في الوقت الحاضر. بالنسبة لأرندت يمثل المعسكر مظهرا للشر الراديكالي الذي كشف جوهر الشمولية، وهو يمثل المؤسسة الأهم في الأنظمة الشمولية. وتشترك النازية والستالينية في قدرتها على إبادة الملايين من البشر الأبرياء دون سبب أو منفعة، وما تشتركان فيه ليس مجموعة من المؤسسات أو طرق إنتاج ولكنهما تشتركان في المعسكر، أي المكان الذي وضعت فيه الإنسانية نفسها أمام إشكالات جوهرية، المكان الذي ظهر إلى حيّز الوجود الشكل الجديد للشر. ورغم أنه مع انهيار الأنظمة الشمولية وإغلاق المعسكرات تم التخلص من الشر الجذري، ولكن لم يتم التخلص من الحلول الشمولية التي يمكن إعادتها إلى حيّز الوجود.

تسمح تحليلات أرندت حول البيولوجيا السياسية بإدراك العديد من الأبعاد والمنظورات التي كانت مخفية بسبب عدم الربط بين نموذج الشمولية ونموذج البيولوجيا السياسية[2]. أولا، تحليلات أرندت تسمح لنا بدراسة نتائج البيولوجيا السياسية في الحداثة من خلال فكرة التعددية التي تمتاز بها، حيث أنه عند تقدير الدور الذي تلعبه التعددية في العلاقات الإنسانية والعمل السياسي، فإننا نستطيع فهم العواقب المترتبة على السياق السياسي الحديث المرتكز حول الأبعاد البيولوجية للحاجيات الجسدية، حيث أن القواسم المشتركة في طلب الحصول على الحاجيات يجب أن تُفهم على أنها تمثل مصلحة سياسية مشتركة، والتشابه في الجسد يُؤخذ كأساس للمساواة[3]. البعد الثاني الذي يمكن أن نستشفه من تحليلات أرندت هو فهم نتائج الفهم ذي التوجه الطبيعي للسياسة القائم على البيولوجيا، والذي يسمح بكشف الكل الذي في إطاره يظهر الإنسان متضمنا في هياكل بيولوجيا سياسية. ليس فقط كما هو محدّد ومشكّل ومتأثر بالعمليات البيولوجية في إطار

---

(1) *Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism, Harcourt, Brace & Co, New York, 1951, p 474 .*

(2) *Elke Schwarz, The Biopolitical Condition: Re-thinking the Ethics of Political Violence in Life-Politics, PhD Thesis, Department of International Relations, London School of Economics and Political Science, London, November 2013, pp 79-85.*

(3) *Hannah Arendt, op.cit, p 200.*

نموذج يتعلق بالسياسة كإدارة، لكن أيضا كجزء لا يتجزأ من الهياكل المجتمعية والسياسية التي تعكس التقلبات الدورية لعمليات الحياة. إن المفهوم الأصلي للبيولوجيا السياسية (قبل إسهامات فوكو) يركّز أكثر على مفهوم الدولة بوصفها كائنا حيا، لكن هذا الإتجاه أخطأ إلى حد بعيد في ربط هذه العلاقة، بينما في إطار توجُهات أرندت، يتم التركيز على كيفية عرض مفهوم الحياة في إطار الهياكل الإجرائية للمجتمع السياسي في الحداثة الغربية. ثالثا، يمكن أن نستشف بيولوجيا سياسية وفق مفهوم أرندت من خلال المنظور الحديث الذي يركز على فكرة أن الإنسان والتاريخ يمثلان تشكيلا ذاتيا أساسيا في سياق يضع كل من التاريخ والطبيعة كعملية. لقد تتبع Dana Villa هذا المنظور الذي يرجع إلى تحليلات أرندت للحداثة الغربية في إطار مشروع "اختراع البشرية"، والمؤسس حول قدرة البشرية على تقليد واستغلال العمليات الطبيعية. وقد قام فيلا بالتأكيد على أفكار أرندت حول منعطف البيولوجيا السياسية عندما لاحظت أن مشروع اختراع البشرية يحمل تشكيلا عنيفا للمواد البشرية المتاحة، حتى أنه في النهاية تختفي الطبقات والأجناس والأفراد، وتبقى عينات من الأنواع المثالية فقط[1]. تمنح أفكار أرندت حول تداعيات المنعطف العلمي، أين أصبح كل من الإنسان والطبيعة ذات وموضوع في تحليل تصنيع واستنساخ الحياة والعالم، مقاربة نقدية لقضايا ما بعد الإنسانية وظهور الحياة الاصطناعية.

لقد عُرف مفهوم المواليد لدى أرندت في عام 1953، وهو العام الذي ألقت فيه محاضرات غير منشورة عن "كارل ماركس والتقليد في الفكر السياسي" في جامعة برينستون (Princeton)، ونشرت فيه أيضا "الأيديولوجيا والإرهاب"، الذي ضمّنته كفصل أخير في الطبعة الثانية كتابها الشهير حول أصول الشمولية عام 1958. لا تحتوي محاضرة ماركس على أية إشارة إلى المواليد أو أوالقديس غسطين (ذلك أن أطروحتها للدكتوراه كانت حول مفهوم الحب لدى القديس أوغستين)، لكنها تضمّنت تحليلا مستفيضا حول فئة العمل كدلالة على حيوانية الإنسان التي لا يمكن التغلب عليها. وقد ظهرت دلالات المواليد وأوغسطين أول مرة في فصل "الأيديولوجيا والإرهاب"، حيث قامت أرندت بتعيين العلاقة بين الفعل والمواليد والإبداع. في هذا المجال تقول أرندت "البداية ... هي القدرة العليا للإنسان، سياسيا، هي متطابقة مع حرية الإنسان، وكما يقول القديس أوغستين فإن البداية هي التي تخلق الإنسان (Initium ut esset homo creatus est). إن هذه البداية

---

[1] *Dana Villa, Politics, Philosophy, Terror, Essays on the Thought of Hannah Arendt, Princeton, Princeton University Press, 1999, p 185.*

مضمونة مع كل ولادة جديدة"[1]. إن الأدلة النصية المتوفرة تؤكد أن أرندت بدأت في استعمال مفهوم الولادة بعد نشرها للطبعة الأولى لأصول الشمولية عام 1951.

ويشير الفكر السياسي لأرندت بعد عام 1951 إلى أن الآثار السلبية للبيولوجيا السياسية ينبغي معالجتها من خلال بيولوجيا سياسية إيجابية. وقد حدد Roberto Esposito هذه الثنائية لخطاب البيولوجيا السياسية، أي تقسيم البيولوجيا السياسية إلى سياسة تؤكد على الحياة وسياسة رافضة للحياة[2]. لكن محاولات اسبوزيتو الساعية لفهم أسباب هذه الازدواجية ومنطقها في إطار ما يسميه "نموذج التحصين" (Paradigm of Immunization)، تبدو غير كافية لتفسير مجموعة متنوعة من طرق أين تحمل الحياة دائما وظيفة مزدوجة غير عادية في خطاب البيولوجيا السياسية. وهنا يمكن رؤية أثر هذه الثنائية الذاتية غير العادية للحياة على سبيل المثال عند ثنائية فرويد حول المحركات الأساسية (Eros و Thanatos)، وفي تمييز فوكو بين الجنسانية والملذات، وفي فكرة أغامبين حول الحياة العارية التي يمكن أن تكون مقدسة فقط عندما تكون تحت شكل من أشكال القانون، ولكن يمكن أن تكون لها وظيفة تعويضية، وربما أهم مثال في هذا المجال نجده في تمييز Walter Benjamin بين "الحياة المجردة" و"الحياة موجودة بشكل مماثل في الحياة الدنيوية والموت والآخرة"[3]. ما يمكن ملاحظته هنا، هو أنه في كل هذه الحالات، إذا أصبحت الحياة البيولوجية موضوعا أو هدفا للسيطرة السياسية والهيمنة في سياسات الموت، فإن الحياة البيولوجية يجب أن تكون قادرة أيضا على أن تصبح ذاتا لمقاومة الهيمنة.

2- جيورجيو أغامبين والتقريب بين أنّا أرندت وميشيل فوكو:

على أساس التلاعبات الأيديولوجية التي عملت على معاكسة الديمقراطية والشمولية لتعزيز الأولى على حساب الثانية بدون تمحيص وتدقيق، وعلى أساس ديمومة ممارسات الإبادة الجماعية ومعسكرات الاعتقال في العالم غير الاستبدادي المعاصر، والانزعاج من التطورات الحالية للمجالات البيولوجية والإيكولوجية، يجب علينا النظر في حقيقة أن نفي مبادئ حكم القانون الديمقراطي من طرف الأنظمة الشمولية في القرن العشرين كان لا يتعارض مع أخذ هذه الدول منطوقات تطبيقية تنبع من صميم دول

(1) *Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism, op.cit, pp 478-479.*
(2) *Roberto Esposito, Bios - Biopolitics and Philosophy, Minneapolis, University of Minnesota Press, 2008, pp 41-77.*
(3) *Walter Benjamin, Selected Writings. Volume 2: 1927-1934, Cambridge, Massachusetts, The Belknap Press of Harvard University Press, 1999, pp 249-252.*

القانون[1]. إذا كان هذا ممكنا فإنه، وفقا لجورجيو أغامبين، في أي دولة حديثة، هناك نقطة تحدد لحظة ما أين قرار يتعلق بالحياة يصبح قرار متعلق بالموت، أين البيولوجيا السياسية يمكن أن تنعكس إلى سياسات الموت (Thanatopolitique)[2]. ولكن فوكو الذي يعود له الفضل في التنظير للبيولوجيا السياسية، لم يوفّق في التفكير في الطابع المركزي لمعسكرات الاعتقال النازية، وخلافا لأنّا أرندت، لم يحقق فوكو إلى قليلا حول سياسة الدول الشمولية الرئيسية في القرن العشرين[3]. في المقابل، وفقا لأغامبين، فإن منظور البيولوجيا السياسية هو الذي أحدث النقص والقصور لدى أرندت عند تحليلها لمعسكرات الاعتقال. حتى في كتاب "الحالة الإنسانية"، الذي يعطي دورا مركزيا لانتشار الحداثة من خلال عملية الحياة، إلا أن أرندت لم تحدد له أي صلة صريحة مع تحليلاتها حول "أصول الشمولية". من خلال تطوير مفهوم الحياة العارية أو الحياة المقدسة في علاقتها بالسلطة السيادية، والحياة المتحكم فيها من طرف السياسة في شكل استثناء وتحليلها على أساس أنها استثناء من الداخل، فقد أراد أغامبين تقريب وجهات النظر بين أرندت وفوكو من أجل دعم الأطروحة التاريخية-الفلسفية حول التواطؤ السري والجوهري بين الديمقراطية والشمولية[4]. تعتمد إسهامات كل من روبرتو إسبوزيتو وجورجيو أغامبين حول موضوع البيولوجيا السياسية بدرجة كبيرة وبشكل مباشر على أعمال أنّا أرندت حول الحالة الإنسانية وأصول الشمولية، ورغم أنهما وصلا إلى مفهومين مختلفين للبيولوجيا السياسية، إلا أن نتائج منظوراتهما مبنية على نظريات أرندت. أولا فيما يتعلق بفكرة المعسكر التي تعد منطق البيولوجيا السياسية للحداثة بالنسبة لأغامبين، وثانيا فيما تعلق بأهمية الولادة وإعادة الولادة بالنسبة إلى بيولوجيا سياسية إيجابية حسب إسبوزيتو.

إذا كان فوكو يعد الأب المؤسّس لعملية تكوين هوية منفردة لإدارة الحياة البيولوجية للسياسة الحديثة، إلا أن أغامبين لم يوضح فقط أنه يجب وضع البيولوجيا السياسية في إطار علاقة الإقصاء والإدماج التي تنتهجها دولة الاستثناء، بل أكّد على أن هذه الظاهرة كانت بمثابة موضوع مهم في الفكر القانوني والسياسي الغربي. على سبيل المثال، وفي إطار إعلانات حقوق الإنسان والحقوق المدنية، تم إدراج الحياة الطبيعية في نظام الدولة القومية، لأن الولادة البسيطة أو الحياة العارية، تمثل مصدر القانون. ولكن

---

(1) *Leibovici Martine, Biopolitique et compréhension du totalitarisme: Foucault, Agamben, Arendt, Tumultes, Vol.2, n°25, 2005, pp 23-24.*
(2) *Giorgio Agamben, Homo sacer, op.cit, p 132.*
(3) *Ibid., p 129.*
(4) *Ibid., p 18.*

في إطار تحول الحياة الطبيعية في الحياة السياسية، وفي إطار اختفاء مفهوم الإنسان في مفهوم المواطن، تم تأسيس سيادة الدولة، حيث أن الحقوق المنسوبة للإنسان منذ ولادته مضمونة في حالة واحدة، أين الحياة الطبيعية تكون تابعة للدولة، وبالتالي يتم تحديد النشأة بالنظر بصورة حصرية لمفهوم الأمة. وإذا قامت الإعلانات الأولى باستبدال مفهوم الحياة العارية مع مفهوم المواطن، فإن المنظمات الإنسانية اليوم تناضل من أجل حقوق عالمية باسم حياة لا تحمل أي شكل من أشكال الدلالة السياسية، وهو ما يشير إلى فصل نهائي بين حقوق الإنسان وحقوق المواطن.

ومن أجل فهم العلاقة بين السلطة البيولوجية والشمولية يجب الإطلاع على حجج أغامبين حول نموذج "المعسكر"، حيث أن الإنجاز العظيم لأرندت حسبه هو تحديدها لخصوصية الشمولية والمعسكرات، التي تبقى مختلفة عن ظاهرة السلطة البيولوجية، والعلاقة بين السلطة البيولوجية والشمولية تظهر من خلال الظروف السياسية التي تحدد العلاقة بين الحياة البيولوجية والحياة السياسية. وتظهر البيولوجيا السياسيةعندما تقرر الدولة القيام مباشرة، بالإضافة إلى وظائفها العادية، بوظيفة الحياة البيولوجية للأمة[1]، وهنا يشير أغامبين إلى أن المعسكرات تمثل فضاء البيولوجيا السياسيةالمطلق، أين لا يوجد أمام السلطة سوى الحياة البيولوجية النقية بدون أية وساطة.

لقد قام الفيلسوف الإيطالي أغامبين بأخذ تحليلات فوكو حول السلطة البيولوجية وحاول تقريبها من أعمال أنّا أرندت حول الشمولية، ويرى هذا الكاتب في البيولوجيا السياسية إدخالا للحياة البيولوجية (zoé) في مجال السياسة (polis)، الشيء الذي يمحي تدريجيا التمييز بين الحياة الطبيعية والحياة السياسية. ويفسّر أغامبين ظاهرة الشمولية (والظاهرة التركيزية بصفة عامة) من خلال التحول الجذري الذي حصل من خلال الانتقال إلى البيولوجيا السياسية. وعند التقاطع بين الشمولية والبيولوجيا السياسية يحدد مفهوم "الحياة العارية"، الذي ينبع من اشتراط الحالة الأولية، أين الكائن الإنساني ليس له شكل آخر من أشكال الحياة سوى الحياة البيولوجية، لأنه مستبعد من الساحة السياسية. وبناء على مفهوم أغامبين يمكن القول أن السياسة سوف تطوّر تدريجيا تعريف بيوسياسي للكائن الإنساني القاعدي، يمكن تحليله وفقا لما يُسمى بالاحتياجات الأولية للكينونة. بالنسبة لأغامبين فإن البيولوجيا السياسية تمثل

[1] *Giorgio Agamben, Qu'est-ce qu'un camp?, in, Moyens sans fin. Notes sur la politique, Rivages Poche, Paris, 2002, p 53.*

شرطا جوهريا للحداثة القانونية والسياسية الغربية، خاصة وأنه في إطار إعلانات حقوق الإنسان، تُقدّم الحياة (العارية) كمصدر للقانون. في هذا المجال، فإن شرعية السلطة السياسية تستند على إقصاء الحياة العارية، فضلا عن العزلة السياسية التي تفرز عن صورة "المحظور"، أي صورة الإنسان المنبوذ (الكائن الذي لا يمكنه التضحية، أين القاتل لا يُعتبر من قبل السلطات أنه مجرم)[1]. تمثل الأشكال المتطرفة للتنظيم الاجتماعي (الشمولية) التي عرفتها الدولة الحديثة نوعا من إعادة تعريف العلاقة بين شخصية صورة الإنسان وصورة المواطن، بين الولادة والانتماء. في هذه الظروف، فإن لدولة البيولوجيا السياسية صلاحيات في تعيين الحدود بين الحياة التي تستحق أن تُعاش، وتلك الحياة التي لا تستحق، وبين مفهوم الحياة التي لا قيمة لها أو الحياة التي لا تستحق العيش.

خاتمة:

لقد كشفت الدراسة الرهان الذي يحمله مفهوم البيولوجيا السياسية والصعوبات التي تكتنف دراسته، حيث يحمل هذا المفهوم من خلال دراسة جينيالوجية لآليات السلطة معنيين أساسيين، فهو يمثل نمط خاص لممارسة السلطة، من جهة، وبنية للتعبير عن السيادة من جهة أخرى، وبهذا المعنى، فهو يضع الحياة كحجر أساس للسلطة التي تمارس داخل المجتمع. ويقدم مفهوم البيولوجيا السياسية مصفوفة تحليلية لآليات السلطة تتجه نحو نمطين أساسيين، حيث أنه بالنسبة لفوكو، فإن الاهتمام يكون حول آليات خاصة تحكم حياة الأفراد والسكان، في حين يهتم أغامبين بكيفية ممارسة السلطة السيادية على مجال الحياة العارية، وهو بهذا يؤشر على إشكالية العلاقة بين السلطة السيادية والسلطة البيولوجية ضمن تحليلات فوكو، وبشكل عام يطرح العلاقة بين بين إعادة تعريف السلطة وعلاقتها بالدولة والسيادة. إن تحليل أغامبين لنمط ممارسة السلطة يتسق بقدر ما مع إمكانيات تحديثها على مستوى الفضاء القانوني والمؤسسيي وعلى مستوى السيادة، وكيف أن السيادة تقوم بتحديث الحياة العارية. وفي إطار هذا المفهوم للبيولوجيا السياسية، يمكن القول أن إسهامات أغامبين تعتبر كمكمّل لأفكار فوكو في إطار عملية التطبيع والرقابة التي تحكم الأجساد الفردية والجماعية، والتي تتخذ من الحياة العارية مادة خام والسعي لإضفاء الطابع السياسي عليها من خلال البحث عن أنماط تضمن بقاء حياة الإنسان. إن هذا المسعى يأخذ طابع الإقصاء من خلال تمييز الذوات

(1) *Giorgio Agamben, Homo sacer, op.cit, p 149.*

الحية عن الذوات الأخرى التي يتم اعتبارها ككيانات غير قابلة للحياة، وأن حياتها ليست خاضعة للحماية، ومن ثم فإن جينيالوجيا أغامبين تعتبر كتحديث لعنف الإجراءات التي تعتمد عليها السلطة السيادية.

إن العنف الذي ميّز كل من الأنظمة الشمولية والأنظمة الديمقراطية يجب أن يكون محل تفكير عميق في قلب مشكلة المواطنة والسيادة، وهو ما ذهبت إليه أنا أرندت في فكرها السياسي من خلال تحليلها لظاهرتي العنف والشمولية. وفي هذا الإطار، تقدّم الظواهر الشمولية، حيث بقاء الإنسان كضامن للنوع البشري مهدد بصورة فعلية وأساسية، نموذجا للتفكير في العنف الذي يعاد إنتاجه يوميا من طرف اللاجئين، الأقليات، وسكان الدول الفقيرة. ومن خلال هذا التحليل لمنطق السلطة في إنتاجها للحياة العارية، يقدم أغامبين تحليلا للحداثة السياسية يتضمن تفسيرات كافية لجوانب معينة لظاهرة الشمولية والديمقراطية كبيولوجيا سياسية، بصورة منفصلة ولكن تحمل نفس المنطق الذي يسعى لإضفاء الطابع السياسي على الحياة العارية. ومن خلال تحليل هذا النوع من العنف ومنطق السلطة في إطار مرحلة الحداثة الغربية، يظهر "المعسكر" كنموذج في التحليل، نظرا لسيطرته على أساليب التحكم في الحياة والموت خلال القرن العشرين، حتى بدى أهم أسلوب بيولوجي للرقابة والسيطرة، رغم أنه لا يمثل كل السياسة. ومن خلال اعتبار السلطة البيولوجية كآليات للسيطرة، وجب التفكير في إمكاينة مقاومة هذه السلطة، وهنا تصبح الحياة الأساس في إشكالية وجود سياسة ممكنة، وهو ما يؤدي إلى التفكير في مفهوم إيجابي للبيولوجيا السياسية، والتفكير من خلال أطر ميتافيزيقية وأخلاقية، وهو الأمر الذي ذهب إليه أنطونيو نيغري من خلال تنطويره لمفهوم التعدد الذي يقوم بالإنتاج البيولوجي للسياسية من أجل مقاومة السلطة البيولوجية للامبراطورية.

إن أفضل طريقة لفهم تحليل أرندت للحياة كسياسة هي اعتبارها نقدا للبيولوجيا السياسية الليبرالية في مرحلة الحداثة، وهنا يعتبر العديد من الباحثين أن جوهر نظرية البيولوجيا السياسية لدى أرندت تتمثل في مفهوم المواليد. وعليه، فإن تحليل وعرض أرندت للتحول الحديث للحياة نحو مركز السياسة، من خلال مظاهر المجال الاجتماعي المختلفة، يقدّم فهما شاملا للقضايا الأساسية للبيولوجيا السياسية كجزء هام في الخطابات المعاصرة حول هذا الموضوع. وبينما لا تركز أرندت على دور السيادة، ولا على المؤسسات المرتبطة بآليات البيولوجيا السياسية، ولم تنخرط في تحليل البنى التحتية للسلطة، وإنما أولت من خلال أعمالها أهمية بالغة للحياة في مجملها والضرورات

البيولوجية للحياة على وجه الخصوص. وهذا ما يوضح كيف أن الذوات التكنولوجية تتشكل وتتكيف من المنطق البيولوجي. إن هذا المنطق البيولوجي التكنولوجي هو الذي حاولت أرندت توضيحه، من خلال تقديم خرائط لممارسات معينة للعنف السياسي والأخلاقي.

قائمة المراجع:

- *Agamben Giorgio, Homo sacer: Sovereign power and bare life, Trans. D. Heller-Roazen, Stanford, Calif, University Press Stanford, 1998.*
- *Agamben Giorgio, Means without end: Notes on politics. Trans. V. Binetti and C. Casarino, University of Minnesota Press, Minneapolis, 2000.*
- *Agamben Giorgio, Qu'est-ce qu'un camp?, in, Moyens sans fin. Notes sur la politique, Rivages Poche, Paris, 2002.*
- *Agamben Giorgio, Remnants of Auschwitz: The witness and the archive. Trans. D. Heller- Roazen, Zone Books, New York, 1999.*
- *Arendt Hannah, The Human Condition, The University of Chicago Press, Chicago and London, 1958.*
- *Arendt Hannah, The Origins of Totalitarianism, Harcourt, Brace & Co, New York, 1951.*
- *Benjamin Walter, Selected Writings. Volume 2: 1927-1934, Cambridge, Massachusetts, The Belknap Press of Harvard University Press, 1999.*
- *Casarino Cesare and Negri Antonio, It's a powerful life: a conversation on contemporary philosophy, Cultural Critique, Vol.57, 2004.*
- *Deleuze Gilles, Post-scriptum sur les sociétés de contrôle, in, Pourparlers, 1972-1990, Paris, Minuit, 1990.*
- *Esposito Roberto, Bios - Biopolitics and Philosophy, Minneapolis, University of Minnesota Press, 2008.*
- *Esposito Roberto, Totalitarisme ou biopolitique, Tumultes, n°26, 2006.*
- *Foucault Michel, Discipline and Punish: The Birth of the Prison, translated by Alan Sheridan NY, Vintage Books, 1995.*
- *Foucault Michel, Histoire de la sexualité, Tome I, La volonté de savoir, Paris, Gallimard, 1976.*
- *Foucault Michel, La naissance de la médecine sociale, in Dits et écrits, Paris, Gallimard, 2001.*
- *Foucault Michel, La politique de santé au XVIIIe siècle, Dits et écrits, Paris, Gallimard, 1994.*
- *Foucault Michel, Society Must Be Defended: Lectures at the Collège de France 1975-1976, ed. Arnold I. Davidson, trans. David Macey. New York: Picador, 2003*
- *Foucault Michel, The History of Sexuality: Volume I, The Will to Knowledge, trans. Robert Hurley. New York: Random House, Inc., 1978.*

- *Genel Katia, The Question of Biopower: Foucault and Agamben, Rethinking Marxism: A Journal of Economics, Culture & Society, Vol.18, n°1, 2006*
- *Hardt Michael and Negri Antonio, Empire, Cambridge, Harvard University Press, 2000.*
- *Hardt Michael and Negri Antonio, Multitude: War and Democracy in the Age of Empire, New York, Penguin Books, 2004.*
- *Keck Frédéric, Les usages du biopolitique, L'Homme, n° 187-188, 2008.*
- *Martine Leibovici, Biopolitique et compréhension du totalitarisme: Foucault, Agamben, Arendt, Tumultes, Vol.2, n°25, 2005 .*
- *Perezalonso Andrés, The Message of Torture: Biopolitics and Bare Life in the US Discourse of the War on Terror, Global Discourse, Vol.1, n°2, 2010.*
- *Schwarz Elke, The Biopolitical Condition: Re-thinking the Ethics of Political Violence in Life-Politics, PhD Thesis, Department of International Relations, London School of Economics and Political Science, London, November 2013.*
- *Thoburn Nicholas, Deleuze, Marx and Politics, London, Routledge, 2003.*
- *Toscano Alberto, Always already only now: Negri and the biopolitical, in, T. Murphy, A. K. Mustapha (eds.), The Philosophy of Antonio Negri: Revolution in Theory, Sterling, VA, Pluto Press, 2007.*
- *Villa Dana, Politics, Philosophy, Terror, Essays on the Thought of Hannah Arendt, Princeton, Princeton University Press, 1999.*